قصه
قصيرة
حطام مبتور
سماح الزعارير

ضلع مبتور

تأليف : سماح الزعارير

التصنيف: نصوص

الطبعة الأولى: سبتمبر (أيلول) ٢٠١٥

غلاف و إخراج : حسن خالد

مراجعة: هنادي العنيس

للتواصل مع الكاتبة: samahzaareer@

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة © لـ المؤلفة بشكل خاص. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، دون إذن خطي من الكاتبة.

المقدمة

" أنا لا أملك ريشة وأقلاماً وفرشاة لأرسم حياتي وخطتها، وألونها كما أشاء، لا أملك اكسير القدر حين يسألني هل تقبلي الخروج من رحم أمك، لا أملك حق الإختيار، ولو كنت أملكه لاخترت أن أعود إلى رحمها، فإن ثلاث ظلماتٍ في رحمها خير من هذا العالم الواسع الضيق من حولي، المضيء المعتم في بقعتي"

إهداء

"إلى عائلتي
إلى صديقاتي
إلى ملائكة الله في الأرض
إلى هنادي العنيس"

1 مارس 2007

العاشرة بعد أن نامت الشمس دون أن ألحظ إشراقها..

حين يخلق الإنسان لا يختار الرحم الذي سيقضي فيه تسعة أشهر من حياته، لا يختار الطبيب الذي سيقوم بإخراجه من هذا الرحم، لا يختار الممرضة التي ستضربه على مؤخرته ليبكي معلناً بدء مسيرته الحياتيه، وبهذا يعلن أن حياته قد بدأت بصرخةٍ ممزوجة بدموع متلاحقة وقدر يجهل تفاصيله. قدر لا يختار فيه أبسط حقوقه، كالملابس التي تليق به مثلاً ويجد فيها راحته لارتدائها، لا يختار المكان ولا الزمان اللذان سيخلق بهما، بل حتى أنه لا يحق له اختيار ديانته ولا عرقه ولا جنسه ، لا يختار اسمه الذي سينسب له وسينادى به الى يوم يبعثون .

أما أنا، فيحكى أنني قد ولدت في الثالث من مارس لعام 1989، ولا أدري مدى صحة هذا الكلام، أنا المولودة في أحد ملاجىء مدينة بيروت للأيتام، استيقظت لأجدهم سموني سارة، وعلى مايبدو هكذا ينادونني أيضاً.

لا أدري صدقاً في أي مستشفى قد ولدت وفي حضن من ترعرعت، كما أنني أجهل تماماً من هي المرأة التي زرعني في رحمها رجل مجهول لأكون ثمرة لحظة عابرة، متعة لحظية، وخطيئة أتت على الدنيا لتمشي على قدمين وهوية مفقودة.

عشت يتيمة لأب على قيد الحياة، ويتيمة لأم لم أر ملامحها يوماً، لم أغفو بين ذراعيهما أو أتوسطهما أثناء نومهما المضطرب لكثرة استيقاظي المفاجىء ليلاً

لم أعرف معنى أن يفطم الطفل من ثدي أمه، لم أجربه مسبقاً ولم تمس شعري أطرافها وهي تحكي لي كم يحتاج الطفل لأن تحنو أمه عليه حتى في أكثر أوقاته مرحاً. وأكاد أشك أنني قد ورثت منهما شيئاً، لا طباع ولا ملامح ، أنا اللحظة العابرة التي استيقظت لتجد نفسها في مأوى أيتام، أنا التي لفظني العالم خارج معالمي، خارج المفترض، وأصبحت بين ليلة وضحاها كأطفال الشوارع، يلصقون بي ألقاباً لم أرتكب يوماً أفعالها، يقتلونني بها مابعد الألف ألفاً، يدفعونني إلى طريقها، وفي نهاية الأمر أسقط ليرددوا ويبقى صداهم يردد من خلفهم: هكذا حقيقتك! عشت أكره الرجال، أحقد عليهم، وأتمنى لو بإمكاني سحقهم جميعاً دفعة واحدة!

عشت كارهة لأب لم أره يوماً، كنت لا أكره شيء في هذه الحياة كما أكره والدي الذي لا يليق به اسم أبي.

عشت وأنا أجهل أي طريق علي أن أسلك، وإلى أي مدى يجب أن اكتفي بطبطبة من ابتسامة مجهول قد يحمل في داخله نوايا سيئة لي، أو قد يشفق على حالي التي تلفظها ملامحي في كل مرة أستشعر بقرب أحدهم مني وأنتفض واقفة، فأثير حزنهم، وأثير الرعب في داخلي.. إلى أي مدى!

3 مارس 2007

التاسعة من صباح يومي المزدحم بالأمل والعاطفة

كان عيد ميلادي الثامن عشر مختلفاً جداً، كئيباً جداً، حزيناً جداً، وموجعاً حد أنني تقيأت كل ما في داخلي دفعة واحدة.

كان علي أن أغادر الدار، كان يجب أن أبدأ في أولى خطواتي الجادة، تلك التي أبدؤها في أن أعلن تحملي مسؤولية نفسي.

كان يجب أن أعمل لأدخر المال وأعيل نفسي، وأكمل دراستي التي توقفت في الثامن عشر من عمري دون أن أخوض الحياة التي تلي مرحلة الثانوية العامة، تلك التي أبحث فيها على الانترنت في أي الجامعات يجب أن ألتحق، وأيهم ستكون الأقرب لوضعي، والأنسب في طريقة السداد فور إيجادي العمل المناسب بتوقيته وبسد حاجاتي الأولية.

الأسوء من هذا كله أنه كان يجب علي أن أكون الأب والأم، الأخ والأخت، الصديقة والزميلة، بل وحتى الوطن. كان يجب علي أن أقويني وأن أدعمني لأستطيع أن أمضي قدماً في هذه الحياة التي أرغمت على التواجد فيها، لو كان فقط لي حرية الاختيار يومها.. لاخترت أن لا أولد!

غادرت الدار كرهاً لا طوعاً، لم أتمسك بوجودي هناك رغبة بالبقاء، بل كان تمسكي خوفاً مما سأواجهه وحدي في الخارج، كان تمسكي خوفاً من المغادرة حيث أنني لا أعرف كيف تدور الأرض خارج أسوار الملجأ

لا أدري كيف تسري الحياة هناك، في تلك البقعة التي لم يخل في ذهني مسبقاً أنني سأضع قدمي عليها وحدي، وسأحرك يدي دون أن ترتطم بجدران من حولي هذه المرة، سأتسمر في مكاني، وعيني تلحق المارة من حولي، ويختنق صوتي قبل أن أسأل أحدهم: اسمي سارة، أين الاتجاه الصحيح لحياتي الآن؟

كنت أسير وحدي في شوارع بيروت الواسعة المملوءة بالغرباء والسياح الأجانب، حتى المواطنين فيها لا يشبهون بعضهم البعض، وجوههم غريبة ومختلفة، كنت أستجديهم وأبحث فيهم عن أصلي وعن نسبي وعن عرقي، لكني لم أجدني فيهم!

لم أجد فيهم سوى صورة ملاصقة لوصف الغرباء، ومن حولهم الكثير من المباني التي اختلفت عن بعضها أيضاً، تارة أرى صفوفاً من المباني الشاهقة، وتارة أجد نفسي في بقعة عتيقة لبيوت قديمة وجدران تحكي الكثير من أصوات القصة بين صراخ النسوة في الاجتياحات الاسرائيلية، واغتراب أهل الدار عن ذاتهم يوم أصبحت بيروت كلها الوجهة العربية الأولى لحرب أهلية مازالت تضخ الكره لمن على أرضها حتى هذه اللحظة، والسبب.. أننا لا نقبل من هم يختلفون عنا، وأن ثقافة الاختلاف لا مكان لها بيننا، ولن يكن يوماً لها مكاناً.

كنت أسير، خطواتي صغيرة، أخشى أن أفتح قدمي أكثر وأن أمدها إلى الأمام، لا أعلم ما الذي سيخرج لي من الأسفل إذ ما تجرأت على أن أفعل ذلك وأن أكشف لهذه الأرض أن لي قدرة لأن أمشي كالأطفال تارة وكالناضجين تارة أخرى.. وأن عقلي لا يستوعب سوى أربعة جدران وسرير حديدي كنت أنام فوقه يومياً

كانت السماء بعيدة جداً عني كبعد السعادة تماماً، كبعد تلك المتعة اللحظية التي أنجبتني، وكنت أنا السبب والنتيجة في آن واحد.

كنت أمشي بأعين كثيرة، عيناي المملوءتان، بالدموع، وبأعين المارة التي قتلتني نظرات الشفقة من خلالها ..

كنت أمشي وأنا عاجزة عن كبح دموعي أكثر، كنت أمشي وأنا أنظر في أعين الأطفال وأدعو الله الذي لم أراه قط كما لم أرَ والداي.

أعين الأطفال بريئة جداً، أتساءل هل يا ترى كنت بريئة كذلك في صغري؟ أم أن الطريقة التي لفظني بها قدري لم تكن لتسمح أن أتصف بالبراءة أيضاً!

سمعت طفلاً ينادي بابا وكأنه وضع خنجراً في منتصف صدري كان يتشبث بيد أبيه فزلزل الأرض من أسفلي وتساقطت السماء من فوقي وكأنها بثقلها ووسعها صارت فوق جسدي النحيل المنهك، قتلتني كلمة بابا أنا التي لم أكن أملك الحق في قولها يوماً، تعثرت في مشيتي عدت مرات، وسقطت في المرة الرابعة، يوم لم يتوقف عن نبش الألم في داخلي بكلمته الأولى، وكأنما أعجبه أن يرى فتاة بمنظرها الغريب تسقط أمامه، وكان له ذلك حينما نادى ماما، يا إلهي كم كان وقعها مؤلماً في نفسي، وكأني نفيت من تلك الأرض.

كنت أتمنى لو كان بإستطاعتي أن أصرخ في وجوههم، أن أقول لهم أرجوكم اخفضوا أصواتكم فإن قلبي الكفيف لا يحتمل وروحي الثكلى لا تطيق أن تمارسوا حقوقكم أمامي.

غيرت مسرى اتجاهي، لالتفت ويستوقفني مشهدٌ أب يشتري قطعة آيس كريم لابنته، رحت أنظر إليهما بحزن ونهم وشراسة في ذات الوقت كما لو أنني قطة مشردة، صرت أمسح اللعاب الذي سال من فمي وأنا أتتبع كف يديه ينزلق على رأس ابنته وهو يحشو الأوراق القطنية في أطراف قميصها كي لا تلوث نفسها، سال اللعاب من فمي اشتهاءً لعاطفة الأبوة لا لقطعة الآيس كريم.

مشيت كثيراً حتى جاء الليل، حل الظلام وبات لون السماء تماماً كلون قدري، جلست على أحد المقاعد العامة، أخذت قلمي ودفتر مذكراتي من حقيبتي التي كنت أحمل بها أحلامي المحطمة وخيباتي، وفي أول السطر كتبت:

"أيها الرجل الذي تسبب في تعاستي، اليوم أتممت عامي الثامن عشر وغادرت الملجأ، اليوم تشردت بسبب نزواتك وشهواتك قبل ثمانية عشرعاماً وتسع أشهر من الآن، سيراك الله ويلتقي بك ويحاسبك عني كثيراً، والله لو كان وجودي سبباً لإعاقتك من دخول الجنة حتى أغفر لك، فلن أفعل، قل لي بأي ذنب قتلتني حية، بأي ذنب؟"

سقط القلم من يدي، وسرقني النوم..

أيقظتني امرأة عجوز، خطوط الزمن المتوازية في وجهها كانت مرعبةً جداً .

- انهضي يا ابنتي، يمنع النوم في الأماكن العامة، سيحتجزك "الدرك" إن مروا من هنا.

استيقظت وبي الكثير من الهَلع وكأن الجن يتخبطني من المسّ، كنتُ أخاف من الغرباء كثيراً، هربت من تلك السيدة مسرعة، ارتجفتُ حين قالت يا ابنتي فلم اسمع تلك الكلمة في حياتي بتاتاً، ربما حَسبتني (مجنونة) من شدّة فزعي، لكن لا أحد يعلم ما في القلوب إلا الله .

صرت أسير بلا وجهة، بلا بوصلة، لا أعرف الأماكن ولا الأشخاص، لا أعرف إن كانت هذه البداية أم أنها النهاية، لا أعرف في أي مفترق طرق وضعني القدر رغما عنّي، كنت أملك القليل من النقود التي كنت أدخرها في الأعياد من زوار الدار، ففي لبنان هناك ما يكفي من الأعياد لتشمل كل الطوائف والأديان، كنت أملك ما بالكاد يكفي لاستئجار غرفة بسيطة في بيت مشترك للفتيات الشابات، حيث يكون البيت المشترك حلاً للشابات العاملات واللواتي يقطن في أماكن تبعد عن قراهن وتقترب من جامعاتهن وميزانيته المقتسمة تكفي لأن تراعي الضائقة المادية وزيادة الأسعار المستمرة طوال العام، كان يجب علي أن أجد مأوى قبل منتصف الليل، فإن الحياة بعد الثانية عشر ليلاً تصبح مخيفة ويتحول المارة في الشوارع الوحيدة إلى غرباء مرعبين، وقد كنت فتاةً فاتنة الملامح، مترفة الفتنة، أي أنني كنتُ مطمعاً لكلاب الشوارع .

سألت أحد المارة عن إمكانية إيجاد غرفة للإيجار في منزل مشترك للفتيات قريب في هذه المنطقة، رد قائلاً : شو رأيك تسكني معي يا حلوة، ثم تعالت صوت ضحكاته، تعثرت وأنا أرجع إلى الخلف ثم عرفت أنني أمام خيارين لا ثالث بينهما إما الهرب أو الهرب فنهضت وبصقتُ في منتصف وجهه ثم أسرعت هاربة .

سألتُ عجوزاً هذه المرّة، فدلتني على دار قريبة من هنا وأسعارها زهيدة .

استأجرتُ غرفةً بعد عناءٍ طويل وبعد الانتهاء من الإجراءات الأولى، دخلت غرفتي ألقيتُ بجسدي المتعب على سريري ونمتُ حتى الصباح دون أرقٍ أو تفكير.. ما الذي يخبئه لي الغد؟

في اليوم التالي كان يجب أن أباشر في البحث عن عمل لأن النقود التي أملكها لم يتبق منها إلا القليل، لن أستطع أن أسدد بها احتياجاتي اليومية لأسبوع من الزمن، كان من الصعب أن أجد عملاً وأنا لا أحمل شهادة جامعية، فأُرغمتُ أن أقبل بأي عمل أيّاً كان نوعه لأَعيش، وجدتُ عملاً في شركة للمواد التجميلية كمندوبة مبيعات تم قبولي فوراً نظراً لفتنة وجهي التي أغنتني لمرة عن التحسر في عدم إكمال دراستي الجامعية.

في البداية سررت جداً بفرصة العمل هذه، إلا أنني بعد أيام قليلة تعرَّضت لمواقف سيئة جداً، كذلك الموقف وأنا أعرض البضائع في الشقة الفندقية الملاصقة لمقر الشركة التي أعمل بها، قرعت باب المنزل وإذ بشاب وسيم يطل من الباب..

- تفضلي يا حلوة، يا ميت اهلين وسهلين

- عفوا، أنا مندوبة مبيعات من شركة ...

قاطعني، ثم شدّني من قميصي وقال لي:

- اتركينا من البضايع و الشركات تعي ورجيكي احلا عرض ممكن تشوفيه بحياتك

استجمعت قواي، طلبت منه أن يعطني دقيقة لأدخل المواد معي كي لا يتم سرقتها من زائر مفاجيء للشقة المقابلة، وما أن أفلتني حتى تركت المواد على الأرض وهربت بنفسي حتى وصلت الشركة وأنا أتلو عليهم ما حدث معي، ليتم معاقبتي رغم ما حدث وخصمي من راتبي الشهري لما يوازي تكلفة تلك المواد التي يبدو أنه تخلص منها سريعاً فور هروبي قبل أن يستدل على فعلته أحد.

كان يجب علي أن أتحول لكائن آخر، أكثر حدة في الطباع، وسليط اللسان، كان يجب أن أؤثر على ذاتي بأخلاق من هم حولي لا بأخلاقي، فعندما تكون غريباً لا يهم إن كانت سمعتك جيدة أم سيئة طالما أنك في نهاية الأمر لن تدع لأحدهم أي فرصة لأن يأكل من أطراف ظهرك دون أن تعلمه درساً جيداً في تمهيد المشهد، وفي أن الفتاة مهما كانت عليه نيتها يمكن أن تتحول فجأة إلى "حسن صبي" إن استدعى الأمر.

اذكر موقفاً آخراً في أحد الشقق أيضاً تحرش بي رجلاً ثم قال لي :

انت من وين جايبه حلاك من بيّك أو من إمك .

صدقاً حين قال لي تلك الجملة شعرت أن الكون بوسعه يضيق كخرم إبرة ويخنقني، من أمي ومن أبي؟ من أين أتيت بجمالي هذا؟ لا أعلم صدقاً لا أعلم، نظرت إليه بإزدراء ثم غادرت المنزل بدون أن أتلفظ بأي حرف، تلك الجملة جعلتني أحاول أن استرجع ذاكرتي يوم الثالث من مارس لعام 1989، أحاول تذكر ملامح أمي وأبي، لكني لم أستطِع، والله لم أستطع .

حين عدتُ من عملي إلى غرفتي ركضت مسرعة إلى المرآة أبحث في ملامحي عن أم وأب، لكني لم أجدهم في، لم أجد سوى خيبات وسنوات تمر هباء منثوراً، فلقد خلقتُ لأَشقى..

في هذا اليوم تحديداً قررتُ أن أترك عملي كمندوبة مبيعات وأن أبحث عن عملٍ آخر .

"لم أكن أؤمن بالصّدف، لكن تلك المسافة المتمركزة بين يمينك وشمالك، جعلتني أكفر بكفري بالصدف فآمنت بك وجعلتني أثق بمن لا أثق"

هذا ما قد دوّنته في دفتر مذكراتي يوم السابع من مارس 2007.

كنتُ أركض في حديقة عامة، لم أسقط على الأَرض، لم يمسك بيدي شاب وسيم ولم يساعدني على النهوض كما يحدث في الأفلام الرومانسية، كنت عطشى جداً، كان الجو حار، سألني شاب غريب : ما بال وجهك شاحب وشفتيك جافّتين .

- وما شأنك أنت، أغرب عن وجهي .

- ههه ما بكِ يا صبيه لستُ صعلوكا ولا قاطع طريق، خذي سدي ظمأكِ، وداعاً .

وضع "قنينة" الماء بجانبي ثم رحل بكل وداعة وكبرياء في الوقت ذاته، لا أدري لماذا ابتسمتُ يومها، رغم أنني لا أضحك، ولم أكن أعرف قبل ذلك اليوم كيف يمكنني أن أبتسم. لا أدري كيف انقلب كياني رأساً على عقب يومها، أنا التي لا تشعر لا تبتسم، لا تؤمن بكل الأشياء من حولها، قلُبت الموازين كلها، يومها شعرت، يومها فقط ابتسمت فآمنت أخيراً!

عدت إلى غرفتي راجية الرب أن تُلقي الصدفة بذلك الشاب الوسيم في طريقي مرةً أخرى، وفي عصر اليوم التالي عدت إلى الحديقة ذاتها، وجدته، فرحت، لكني تجاهلته عمداً، كنت أعلم بأنه جاء للبحث عني، لا أظن أن الصدفة هي التي جمعتنا هذه المرة ..

توجهتُ نحوه وقلتُ برصانة وصرامة:

- ممم، طاب مساؤك، شكراً لك على الماء، واعتذرعن أسلوبي الفظّ البارحة .

- لا بأس، لا ألومكِ، لا بد من التحفظ مع الغرباء .

* ابتسمتُ وابتسم ..

شعرت بأن دقات قلبه تزغرد لأنني ابتسمت ربما كان عزاؤه ابتسامتي .

صمتنا قليلاً ثم فتح الحوار مرة أخرى .

_ اسمي رؤوف وأنتِ؟

_سارة

-ما بكِ تقولينها بحزم " تغنجي يا بنت شوي "

- عفواً .

- ههه أووو لا تسيئي فهمي كنتُ أمازحك وحسب، كم عمرك يا سارة .

- صدقاً لا أحب أسلوب التعارف هذا كالحصة الأولى في الصفوف الابتدائية .

- عنيدة

- مشاكس

مشينا ومضينا

****

انقضى اليوم ونحن نتحدث سوياً، استرسلتُ بالحديث مع رؤوف وفي المساء حين عدتُ إلى غرفتي كتبتُ على دفتري " كُن لي أباً، كن لي وطناً، فقد عشتُ طول العمر أبحث عن كنف أب، وخلقت منذ المهد في منفى"

إلى رؤوف 8 مارس 2007.

أصبحت أركض يومياً في الحديقة إلى أن تحول الأمر من رغبة لمصادفة رؤوف إلى عادة لا يمكنني تجاهلها بل حدثاً أعتدت عليه لأبدأ به يومي، مرّ أسبوع كامل لم أرَ به رؤوف، ظننتُ أنني في هذا العام سأحتفل برأس السنة مع شريك، لكن كالعادة تصفعني أحلامي بكفّ القدر، فأقعد أسفل مقصلة الموت الحي، انتظر موتي الذي لا يأتي، تماماً كالعقاب في السجون الصينية (العقاب بالانتظار لقطرة الماء) ، يئستُ من انتظار رؤوف يوماً بعد يوم حتى قررت أن أطرده من رفّ أحلامي.

في ذلك اليوم كانت إحدى مسؤولات السّكن، تحاول استفزازي، تحاول الاقتراب مني، ربما كانت تحاول أن تكشف السر الذي أخبئه بين أهداب روحي، وحنايا فؤادي، وبين المقلتين الدّامعتين، كنت شديدة التحفّظ، لا أجود بالحديث مع فتيات السّكن، أو مع المسؤولات إلا للضّرورة القصوى .

هربت وجلستُ في إحدى الحدائق العامة في يميني رواية السّجينة مليكة اوفقير لـميشيل قيتوسي وفي شمالي كوب القهوة الذي كنت أستعين به ليدفئني، كان الجو غائماً، ويداي تتراقصان برداً، ارتشف قهوتي تارة وأغفل عنها تارة أخرى، فقد شدني الكتاب كثيراً، وحين استغرقتُ في القراءة نسيت البرد تماماً .

كنتُ اقرأ الفقرة الأخيرة من الصفحة 171 وقد كُتب فيها : " أنا، وأمي، ورؤوف، وميمي بدأنا بتنفيذ إضراب عن الطعام في عزّ الشتاء، كانت الأرض والجدران مغطّاة بالجليد. لازمنا اسرّتنا، ورحنا نتكوّر تحت أغطيتنا الهزيلة، نلتمس تحت طياتها بعضاً من الحرارة والدفء "

بعثرتني هذه الفقرة عمّت الفوضى في إنحاء أفكاري، وعبث المكان في زمام أحلامي، صرت أغلي وكأنني قد قُذفت من فوهة بركان للتوّ، ثمّ ارتعش وكأن أسفلي زلزالاً بقوة 9 ريختر، أنا وأمي ورؤوف اجتمعنا في كتاب! يا للصدفة!!

جمعت هذه الفقرة بين أمي التي بحثت عنها طول حياتي، ورؤوف الذي قادته الصدف إلي ثم سلبه القدر منّي، يا رب نجّني من حمّى الفقد هاته، امنحني القوة لأقاوم، فقط أريد المزيد والمزيد من الممانعة .

لم أقوَ على الإستمرار في القراءة، أغلقتُ الكتاب، أمسكتُ فنجان قهوتي الذي طالما تحول فجأة إلى سند، ورحتُ أسير في شوارع المدينة الغريبة، رحت أنظر في وجوه الغرباء، كانت الأرض تدور بشدة، ورأسي أصبح ثقيلاً للغاية، آخر ما أذكره حينها، أن الرواية سقطت مني، ولم أستطع انتشالها .

استيقظتُ في غرفة الطوارئ وإبرة المغذي في وريدي، وبجانبي رجلٌ لطيفٌ يمسك يدي ويبتسم، ظننتُ بأنني أحلم، فأغمضتُ عيني لأُواصل حلمي فكم كنتُ أتوق للحنان، استشعرتُ بلمسات كفّه كثيراً ففتحتُ عينيّ على عجل، نظرت بدهشةٍ وإذ هذا الرجل هو رؤوف ...

_ رؤوف (صرخت بصوت عالٍ)

_ اششششش، اخفضي صوتك، أجل رؤوف (وابتسم بلطف)

_ لكن ما الذي جاء بي إلى هنا، ما الذي حدث، أين كنت!

_ كفي عن الثرثرة، يجب أن ترتاحي الآن

سحبتُ يدي من يده، ثم صرت اسأل في قرارة نفسي ترى كيف يحنو القدر عليّ من جديد ويجمعني به، أنا التي لم أرَ من هذا القدر إلا القسوة .

دخل الطبيب فطلب مني أوراقاً ثبوتيّة ليتم تسجيل الحالة بما أني قد دخلت المستشفى، جزعت وانتزعت إبرة المغذي من يدي دون أن أبالي بالألم وصرخت في وجه الطبيب: أنا بخير، لا داع لذلك، وداعاً .

ركضتُ مسرعة، وكأني أحمل لبنان كلها على ظهري، لحق بي رؤوف .

_ سارة..سارة..

شدني من يدي ثمّ سحبني نحوه !

_ ما بكِ، أخبريني ما خطبكِ .

كانت الدموع تسيل من عينيّ كنهر جارٍ

_ لا شيء، دعني وشأني

_ لن ادعكِ ترحلين

تركت يده ثمّ سرتُ خطوتين، فاستوقفني كلامه .

_ سارة، بالمناسبة كنت جميلة جداً وأنتِ تركضين في الحديقة كل صباح ، كانت عيناكِ جميلتان وأنتِ تبحثين عن شخصٍ ما تفتقدينه، كنت طاهرةً جداً وأنت تقبّلين الأطفال في الشارع وتبتسمين في وجوههم مشجعةً إياهم للذهاب إلى المدرسة، ما أجمل وجهكِ يا سارة وأنت تتصببين عرقاً أثناء عودتكِ إلى مكان سكنك .

رجعت خطوتين بمقدار ما سرت !

_ اذن كنت تراقبني، ومن قال لك أني كنت أبحث عنك، أنا لا أفتقد الغرباء.

_ حسناً انسي ما قلته، أخبريني لِمَ هربتِ من الطّبيب؟

_ ستظنني مجنونة إن طلب مني الطبيب اسمي الثلاثي وجاوبته بأنني لا أعرفه، أليس كذلك؟

_ لم أفهم، هل لكِ أن توضحي الأمر لي ليصبح جلياً .

_ انس يا رؤوف

_ ما هذا اليأس الذي أراه في عينيكِ الجميلتين

_ إن كنتَ تغازل كل النساء بالطريقة ذاتها، كيف لك أن تحصي عدد عشيقاتك .

ضحك رؤوف بشدة فضحكت من قلبي للمرة الأولى منذ ثمانية عشر عام .

_ لا تظلميني، شيء ما ينطق على لساني حين أراكِ لا أدري ما هو

_ ربما جنية الحب ههه

_ ضحكتكِ جميلة، لا تدعي الحياة تسرقها منكِ

_ تسرقها؟ الحياة؟ اصمت بربّك

_ حسناً سأصمت، لكن عليكِ قبول دعوتي لتناول العشاء معاً

_ لا أقبل دعوات الغرباء

_ غرباء، سأقتلكِ والله!

_ مممم حسناً سأجازف معك وأقبل هذه المرة

كان عشاء ممتعاً جداً، لم تكن اللذة في الطّعام بل كانت في أنني للمرة الأولى أتذوق طعم السعادة، ياه كم أنها شهية ولذيذة .

_ تأخرت يجب أن أعود إلى المنزل

_ أخبريني يا سارة في أيّ عمارة تسكنين ؟

_ أسكن في بيت مشترك للفتيات العاملات والجامعيات

_ أنتِ طالبة جامعية إذن؟

_ لا

_ تعملين في منطقة بعيدة عن منزلك؟

_ لا

_ حسناً، لنجرب بطريقة أخرى، هل يحق لي أن أعرف؟

_ لقيطة

_ لم أفهم

_ بنت حرام !

_ اصمتي، لا تقولي ذلك

_ بنت زنى

وضع رؤوف يده على فمي، ثم انهمرتُ بالبكاء بكيتُ بشدّة لم يسبق لي فعلها قبل هذا اليوم، كانت رغبتي جامحة في البكاء، أرغمتني التراكمات المكبوتة في قلبي أن أزيل صمام الأمان في عينيّ فتنفلت الدموع منها، عانقني رؤوف بشدة لم أمانعه يومها، فكم كنتُ في قرارة نفسي أحتاج هذا العناق .

" وكنت أخـاف أن أعانقك، فتقفُ الحياة بِـي بين يمينك وشمالك، فأطلب من القدر أن يتركني عالقة بين يديك، وأصير عاجزة عن الإستمرار في هذه الحياة بلاك "

15 مارس 2007

لازمتُ غرفتي، ما عاد يهمّني الخروج للبحث عن العمل أو ممارسة العادة اليومية التي اكتسبتها في الركض، شعرتُ بالضّعف لأني أطلعته على سرّي الذي كابرت في البداية عن كشفه لأحد، صرتُ أخاف بعد ذلك اليوم أَن أسير في الطّرقات، فأَسمع حكايتي على ألسُن المارَّة، صرتُ أخاف أن تصرخ الريح بوجهي مستهزئة بي، كنت أخاف أن ينطق الشجر والحَجر ويصفني باللقيطة، تلك الخمسة أحرف كانت جارحة جداً، قاتلة، كم أنها جبّارة أبجديتنا تقلتنا بحرفٍ وتُحييينا بآخر.

خرجتُ للبحث عن عمل مرغمة بسبب حاجتي الماسَّة للنقود ليتسنَّى لي الإلتحاق بإحدى الجامعات الحكوميّة، لمحتُ رؤوف في الدكان الذي يقع أسفل السكن، فأعرضتُ بوجهي عنه حتى لا يراني، لكنه لمحني فلحقني على عجل .

_ سارة، انتظري ...

_ يجب أن أتحدث إليك

_ لا أرغب بالتحدث يا رؤوف، أرجوك دعني وشأني!

_ لن أدعك ، فإن شأنك هو شأني.

_ بالله عليك، وهل أنا من شجرة عائلتك ليكون شأني شأنك ؟

_ ربما أقرب يا سارة، أرجوكِ لا تذهبي.

_ حسناً قل ما عندك

_ تعالي إلى الحديقة لا أستطيع التحدّث في الشارع (تردَّدتُ ثمّ قبلت)

صمت، لم أستطع النّظر إلى عينيه هذه المرّة، كان يحاول أن يلفت انتباهي لالتفت إليه، لكني لم أَفعل .

_ أخبرتني أنك تريد التحدّث إلي، أراك صامتاً إإذن لي إن لم يكن لديك ما تقوله سأُغادر!

_ أحبكِ

_ههه، تباً لك، إلى اللقاء

_ انتظري سارة (وضع يديه الضّخمتين على وجهي الصّغير) أقسم برب الكائنات ورب عينيكِ وشفتيكِ وقلبكِ الطاهر أني أحبكِ، أُقسم برب الصّدف، وحزنكِ أني أحبك.

_ انظر يا رؤوف، أنا لا أعلم ماذا تعني هذه الكلمة، صدقاً لا أعلم، لكني لا أنكر أن قلبي يدق حين أراك، لا أنكر أن جسدي يقشعر اذا لامست يداك أطرافي، لا أنكر اني انتظرك، وأحلم بك كثيراً، لا أنكر أني أفكر بك، بربك أخبرني هل هذا هو الحب ؟

_ كم أنتِ طاهرة ورقيقة، لا تلومي قلبي الوديع إذا ما وقع بحبّك، أنتِ مختلفة جداً يا سارة، مختلفة ومميزة أيضاً.

_ لا توقعني بك أكثر، أرجوك دعني أرحل أنا وقلبي عنك، لا أستطيع الاستمرار معك، وأنتَ تعلم السبب، قد ولدت وعلى جبيني بصمة عار، أما أنت كما يُقال ولدت وفي فِيكَ ملعقة ذهب .

_ لكني لا أكترث بالماضي المؤلم الذي ولدتِ به رغماً عنك، ما كان الذنب ذنبك، أنا لا أُعاقبك بقدرٍ كتبه الله لكِ، يكفيني طهارة قلبك ووضاءة روحكِ، يكفيني جمال وجهكِ أما بصمة العار التي تتحدَّثين عنها لم تكُن خطيئتكِ.

قاطعته ثمّ قلتُ له: رؤوف هَبني وطناً

_ اسجل لبنان باسمك مثلاً

ضحكت كثيراً وقلت له: لم أقصد ذلك أيها الشقيّ، كنتُ أقصد -عانقني -

ابتسم رؤوف وعانقني، عانقني بشدّة، كانت دقات قلبي تتزايد، كان جسدي يرتعش ويزداد سخونةً، وأنفاسي تستقر تارة وتتزايد أخرى، أغمضتُ عيناي وصرت أحلم وأغني في قرارة نفسي: "موطني..موطني أجل هذا هو وطني الذي يجب أن أحمل هويته وجنسيّته، هذا هو وطني الذي أحمل بداخله رقماً وطنياً، يجب أن يُعترف بي كمواطنة أصلية لا كيتيمة أو لقيطة، إني اليوم أشعر بأني انتمي لَك فقط، فأنت الأب والوطن .

همس رؤوف : كم أنتِ صادقة ومرهفة، هل العناق يعني لكِ وطناً .

تنهَّدت ثم ابتَسمت، ولم أقل شيئاً .

جلستُ على المقعد صامتةً، لم أنطق قط، ربما ما أردت أن انتزع من لجّ قلبي وروحي لذة عناق رؤوف .

أمسك رؤوف بيدي وقال لي: أخبريني أين كنتِ ذاهبة قبل أن الحق بكِ؟

_ كنت سأذهب للبحثِ عن عمل

_ لا أريد أن تعملي سأكون أنا المسؤول عنكِ من الآن فصاعداً

_ لا ليس هذا من طبعي لم أعتد أن يُعيلني أحد، أحب أن أعمل وأن أعتمد على نفسي

قاطعني وقال

_ سارة، أعطيني رقم هاتفك

_ لا أحمل هاتفاً، ومع مين بدي احكي يا حسرة على العباد

_ وماذا عني؟

_ أقصد بالعموم يا أخوت

_ طيب يا حبية قلبو للأخوت، تعالي يجب أن أشتري لكِ هاتفاً محمولاً، لأَتواصل معك بإستمرار .

_ لا أقبل الهدايا من أحد

_ أحد، أحد، أحد، أشعر وكأني أحد المارة الغرباء الذين لا تثقين بهم

_ لم أقصد ذلك

قاطعني ثمّ أمسك بيدي

_ يلا يا كسلانة، أعلم أن الكسل يمنعكِ من الذهاب

_ ههه حسناً أيها اللحوح

بعد انتهاء المهمة جلسنا على الكرسيّ ذاته، صار يعلمني كيف استخدم الهاتف المحمول ....

_ من الآن فصاعداً، لا خروج من المنزل دون أن تخبريني

_ حاضر

_ ممنوع منعاً باتاً أن تخرجي للبحث عن عمل

_ ههه حاضر

_ قبل النوم قبلة، عند الإستيقاظ قبلة

_ مممم أي طلبات أخرى يا باشا

_ إلى الآن لا

قضيتُ اليوم بأكمله مع رؤوف، طلب مني أن أكلمه فور وصولي إلى غرفتي ففعلت واليوم تحديداً تحدثنا إلى حين صاح الديك فقال لي : الديك يقول لنا هيا للنوم رأسي قارب على الإنفجار .

ضحكت كثيراً

_ يارب لا تحرمني من ضحكتها .

_ ولا منك رؤوف

_ يلا بيبي عالنوم

_ تصبح على خير

_ انتظري، خالفتِ أوامري، أين قبلة ما قبل النوم

_ ههه تباً لك لا تنسَ أي شيء، بوسة.. تصبح على خير

_ إلى اللقاء حبيبتي.

مرت الشّهور ونحن نخرج معاً يومياً، نتحدّث أغلب الوقت على الهاتف ...

اليوم ترك لي رسالة هاتفية: "الساعة الرابعة عصراً يجب أن ألقاك في نفس الحديقة وعلى المقعد ذاته، لا تتأخري، أحبكِ "

ذهبت على الموعد ولم أتأخر قط، وجدته بانتظاري وفي يديه فنجاني

_ لم يعد يُناسبني أن تعيشي في دار الفتيات هذه

_ وما الحل؟ إنها الأنسب!

_ منزلي قريب من هنا، وواسع ، يتسع لي ولك وللحب أيضاً

_ اذاً هذا هو مُبتغاك، كم أنت.....

_ هشششش، اصمتي، لا تسيئي الظن بي، ستعيشين بغرفة وأنا بأخرى، أنا جئت لأسعدكِ لا لأُشقيك، لا أقبل أن أؤذيك يا سارة، فكري وأعطني الجواب، يجب أن أذهب الآن لدي أعمال لأقوم بها.

ترك فنجان القهوة خاصتي بجانبي على الكرسي، ورحل..

فكّرتُ بكلامه كثيراً وكنت قد وثقت به، فقررت أن أقبل، لأني سئمت العيش في غرفة وحدي .

19 نيسان 2009

اليوم يا رؤوف أترك لك على فراشنا رسالة لتقرأني حين تعود دون أن أعود، اليوم أترك لك أخرى على تلك المرآة التى تجمع صورنا، أترك لك واحدة على مائدة الطَّعام، سأتركني في كل زاوية من زوايا المنزل لأَكون به دون أَن أكون، كنتُ أظن أننا في هذا الوقت سنفكر باسم لابنتنا وسنشتري لها الملابس ونجهز غرفتها وألعابها، لكنك تنصَّلت مني يا رؤوف وكيف لم أدرك ذلك، فقد كنت طفلةً في الحب، كنت أظن أن كل من قال أحبك فقد أحب، ليتك أخبرتني يا رؤوف عن الغدر، ليتك علمتني أنني سأفارقك يوماً، قسما بالرب أن فراقك أصعب من فراق والدين لم أرهما..

اليوم أدركتُ أن أمي لم تكن امرأة عاهرة كما ظننت دوماً، أدركتُ أنها لم تكن إلا عاشقةً، أدركت أن أبي ليس قبيحاً كما كنت أتخيله، ربما كان وسيماً، طويلاً، عريض المنكبين، وديعاً، رقيقاً، حليماً..

اليوم تعلمتُ أن علاقات الحب الشرقيّة تنتهي على السرير، فيولد منها مأساة جيل قادم . كنتُ أشم رائحة عطرك في ملابسي وفي سريرنا، كنتُ أشمها على تلك المخدة المغدورة كما أنا، لم يعد الطعام شهياً، عادت الحياة سوداء كما كانت، مت بعد أن أحييتني وكم هو صعبٌ أن أموت مرَّتين، فقد كنت الداء والدواء، كنتَ سماً وشفاء، أحاول أن أكرهك فأكره الحياة ولا أكرهك، أحاول أن أنتزعك مني فأنتزعني مني ولا أنتزعك .

بطني صار يكبر، صار الجنين ينبض بأحشائي، صرت أشعر بحياته في داخلي وبتقلباته التي تأتني على هيئة انقباضات مفاجئة، تذكّرت طفولتي المؤلمة، تذكّرتُ جوعي، تذكرتُ عطشي وحاجتي لأمانِ وحنان، حاجتي لحضن يسرقني من هذا العالم الذي أتعبني، قررت ألا تعيش طفلتي كما عشت .

كنتُ أشرب كميات هائلة من الدواء لأموت ولا أموت، كنتُ أخنق نفسي واحبس عني النفس بالوسادة المشبعة برائحة عطرك ولا أموت، كنت أسير بطرق مزدحمة لتدهسني سيارة فأموت ولا أموت، لكن اليوم تحديداً، قررت أن أموت، قررتُ أن أقتلني وأقتل طفلتي، أنا التي لم أصلّي لك يا الله فرضاً سآتيكَ، سآتيك لاعابدة ولا قانتة، ولا مستغفرة، سآتيك عاصية، اليوم سآتيك قاتلة لا مقتوله، ترى هل ستعاقبني يا الله على خطيئتي كما عاقبني القدر بذنبٍ لم اقترفه؟

خرجتُ أسير في الشارع بلا وجهة، بلا هدف، بلا عقل يفكّر، كنت أدندن بأغاني سمعتها صدفة في مرات عدة فالتصقت كلماتها بالشوارع التي صادفت أنني مشيتها أثناء ذلك..

"مشيت في طريق طويل

كان أي حلم قصادي صعب ومستحيل

كان نفسي حد يقلي مرة السكة فين

وشريط حياتي بيعدي من قدام عنيا

شفت النهاية من البداية جايه جايه

دي سنين كتير من عمري عدو

في سؤال معرفش رده

مين اللي جاني في الحكاية ومين ضحية ؟ "

رأيتُ منحدراً عالٍ، كان بالنسبة لي الملجأ والسند هذه المرة، جلست فوقة وكتبت :

" حين أحببتك ظننتك ستمنحني حياة، لم أكن أعلم يوماً أني سأموت بسببك، أنتَ الذي جعلتني أحبني، بسببك صرت أنظر إلى المرآة دون أن أحتقر نفسي، كنت أنت الأب والأخ والأم، كنت أرى فيكَ وطناً، ولم ترَ فيّ إلا الجسد.. جسدي الجميل، لا أدري كيف لم تأخذ من اسمك إلا حروفه الأربعة، إن قرأت كلماتي فأعلم بأنني قد غفرتُ لك، فقط أريدك أن تدعو الله لي بالمغفرة "

اغمضت عيني، رميتُ بجسدي المنهك من أعلى المنحدر، تركتُ خلفي أحلامي، قررتُ أن أموت أنا وطفلتي التي لم ولن تأتي، كنتُ قد وضعت في حجري دفتر مذكراتي، وكان عنوانه اسمك الرباعي .

لا أذكر ملامح الرجل الذي كان يهزني حين سقطتُ إلى الأسفل، لا أذكرها بتاتاً ..

_ يا مجنونة.

_ ساعدوني لإسعافها، المجنونة رمت بنفسها من الأعلى .

تزاحموا من حولي محاولين إسعافي، لكني أوقفتهم وأشرتُ إلى صدري، ليلتفتوا إلى دفتر مذكّراتي، فالتقطه أحدهم .

_ اخبرينا ما اسمك؟ عنوانك ؟

ليتهم يعلمون أنني قضيت عشرون عاماً ابحث عني وما وجدتني، لم أنطق قط .

_ رشوا على وجهها الماء .

_ صه، ها هي تنطق .

_ ر

_ تريدين أن تقولي لنا شيئاً هيا انطقي .

_ رؤ (اقولها بصوتٍ متحشرج)

_ انها تنزف اتصلوا بالإسعاف

_ رؤو.....

أذكر حينَ طلبتُ منكِ أن تسكني معي بنفس المنزل كانت نواياي طاهرة وعاهرة بالوقت ذاته، لم تشاركني إحدى نسائي هذا المنزل، كنت أقيم معهنّ في منزلي الكائن في بعلبك، أنتِ الوحيدة التي حطَّت قدميكِ الطاهرتين هذا المنزل، كنتُ أعلم يومها أنكِ ستقبلين مشاركتي المنزل، كنت اقرأ في عينيك حجم الثقة التي منحتني إياها، التي لم أكن أستحقها .

كان أول يوم يجمعني بكِ جميلاً جداً، انتقل طهركِ إلي بالعدوى، فلم أنوي لمسك، ضحكنا وشاهدنا التلفاز، نمتُ أنا على الأريكة في الصَّالة، وأنتِ نمتِ على سريري، تركتِ الباب مفتوحاً ، ياه كم كنتِ واثقةً بي.

لا أنكر يا سارة أنني أحببتك، لا أنكر أنني عشقت حبكِ لي، عشقتُ سيطرتي عليكِ واستعبادي لكِ، أجل كنتِ طفلةً في الحبّ، وان ما يحزنني أن آخر عبارةً قد كتبتها لي: " كنتَ أرى فيكَ وطناً ولم ترَ فيني إلا جسدي الجميل "

****

اذكر يوماً عدت إلى المنزل مساءً وجدتِك وحدك والسبَّاك في المنزل، لا أدري ما الذي جعلني أثور يومها هل هو حبي لك أم الغيرة عليك، أم نزعتي الشرقية وحسب !

_ يا بنت..... (صرخت وأنا أصفعك)

_ بنت ماذا، أكمل!!

_ لا شيء، لماذا تدخلينه المنزل بغيابي

_ لم أحتمل العطل في المرحاض، الرائحة قاتلة وأخبرتني أنك ستتأخر، ثم أنني تركتُ الباب مفتوحاً

_ حقاً، تركته مفتوحاً، شطورة والله

بكيتِ كثيراً وخرجتِ من المنزل، أعلم أن لا مكان تذهبين إليه سوى الحديقة، أعلم أن لا أهل لكِ ولا صديقات، لحقت بك .

_ سامحيني

_ لا بأس كنت ستقول الحقيقة، الحقيقة لا مفرّ منها

_ لا، لم أقصد ذلك حبيبتي

_ لا تقل حبيبتي من الآن فصاعداً سنعود غرباء

_ سارة، انظري إلى عيني واقرئي حبي لك، حتماً ستسامحيني

_ دعني رؤوف، اتركني وحدي، كما خلقني الله

_ لن ادعكِ هنا هيا للمنزل، تعالي وسأخرج منه أنا إن شئتِ

تنهّدتِ كثيراً حرقتني نيران أنفاسكِ المغموسة بأوجاعك، فلم يكن لديكِ خيار آخر إلا أن تقبلي، يومها فقط شعرت بالشفقة عليكِ.

عُدنا إلى المنزل، قمت بإستغلال نقطة ضعفكِ كفتاة رومانسية، فاقدة للحنان للأمان، رقصت معك على هذه الألحان، أذكرها جيداً ...

بعد الإنتهاء من الرقص، كان جسدك شديد الإرتخاء، وأنفاسك ملتهبة، كانت عينيكِ ذابلتين، ويديك ترتعشان، أمسكتُ شعرك الذهبيّ الطويل، صرت أشمه وأقبله، سألتك يومها هل سرقت من الشمس شعاعاً لتغزلين به شعركِ الجميل، عانقتك بشدة، رحت أتلمّس أجزاءك كلها، تعمَّدت إغراقك فيني، حتى لا تُقاومي، لم تقاومي يومها يا سارة ....

مرَّت الشهور وأنتِ تشاركيني غرفتي، تزوجتكِ حسب رغباتي لا حسب رغباتك، سألتني يوماً بكل براءة كيف يتزوج الشرقيون، أخبرتكِ أننا نصعد إلى القمر ونطلب يد حبيبتنا للزواج فتُغرم بنا أحد النجوم فنتزوج بها ونترك حبيبتنا وحيدة على القمر، ضحكتِ ببراءة مترفة ولم تكوني تعلمي أنني سأتركِ يوماً وحيدة على الأرض لا على القمر، كنت أعلم ألا أحد سيكترث لزواجي منك .

حين تركتُ لك مالاً يتيح لكِ تحقيق حلمكِ بالإلحاق بالجامعة، كنت أظنك كأي أنثى عرفتها تغريك المادة والمظاهر والأغلفة الكاذبة والمتعة، لم أكن أعلم أنك على استعداد تام أن تبيعي الدنيا من مشرقها إلى مغربها فقط لتلقِي بجسدك الصغيرعلى صدري، أذكر يومها تركت لكِ مع المال رسالة كتبت فيها :

" سامحيني حبيبتي، لكن أبي أرغمني على العودة إلى البلدة للزواج من ابنة عمي، الأمر خارج عن إرادتي، تركت لك مالاً يكفيكِ لتعيشين بكرامة وهذا المنزل لكِ، فقط لك، وداعاً "

أعرف بأنني جرحتكِ وقتلتكِ يا سارة، لكنني لم أعتد على تحمل المسؤولية، وحينَ أخبرني الطبيب بأنك حامل، كان يجب أن أهرب.

وها أنا اليوم، أذكر تماماً الصفعة التي أخذتها نتيجة لتسرعي، لحماقتي، ولأنني لم أكن لك يوماً وطناً ولا حتى بقعة من وطن..

أذكر حين أخبرني أحد رجال الدرك أنك قمت بكتابة اسمي على أجندتك وحين عثروا على عنواني أخذوني للتعرف على جثتك، تأكدت أن هذه هي ملامحك..

كم شتمت ذكورتي في قرارة نفسي.. كم شعرت بوخز في رجولتي كنت أتمنى لو يصفعني أحدهم ويقول لي أنني أحلم!

كنت أتمنى لو يصفعني أحدهم ويقول لي أنني أحلم

كنت أتمنى أن أستيقظ وأرى وجهك الملائكي بجانبي

أخبروني أنك لم تتشهدي حين مت وحين سقطت من أعلى المنحدر

أخبروني أنك نطقت بأول ثلاثة حروف من اسمي

قتلت روحين بجسد طاهر.. تباً لي!

وداعاً يا سارة.. وداعاً

ليتني ماخسرتك

ليتني ما قتلتك

والله إني من بعدك لميت

وأنت لازلت حية

لازلت باقية

باقية في كل ركن من أركان المنزل

وأنا اليوم.. بعدك .. تراباً

أرددها تلك الجملة بعد أن تجذرت ذكراك هنا، بداخلي، بكل الأشياء، وباللاشيء..

يا ليتني كنت تراباً!

الخاتمة

" إلى كل امرأة ولدت من ضلع مبتور، أكتب لكِ حروفي هذه وأنا أشعر بكل ذرة وجع مكمورة في صدركِ، أكتب لكِ وأنتِ حزينة وحيدة، أكتب لكِ وأنت تذرفين الخيبات دمعاً ودماً، عسى أن أكفكف بعضاً من هذا الدمع المتساقط منكِ كوابل في صحراء، أكتب لكِ لتصبحي أقوى وتخلعي عنكِ رداء افك المجتمع، أكتب حتى لا تتوسدي كتوف الرجال، انهضي، قاومي، وكوني لنفسكِ وطناً"

لمراسلة الكاتبة عبر الإنستغرام:
samahzaareer@

لمراسلة الكاتبة عبر تويتر:
samahzaareer@

"لا أذكر أنّ لي اب تربّيتُ بين ذراعيه
لم أرَ في حياتي جدّ أو جدّة
عمّ أو عمّة
خالٌ أَو خاله
عشت اثنان وعشرون عاماً بين أربعة جدران
ملطّخة بدماء جرحٍ وخطيئة
نسيت فيها كيف يضحك الإنسان!
جسدُ يمشي وروحٌ عارية من السّعادة
ماضٍ لا ينجلي وحاضرٌ به عَناقيد ذكرياتٌ
مدليةٌ على عنقي من شُرفة الوجع
تخنقني تخنقني فأموت لأحيا ثم أموت
بتّ اؤمن أن الماضي لا يُنسى
فكلما حاولتُ أن أحيد عنه
أحاطني من كلّ اتّجاه!"